البحث
٤

الارتباط بين الدين والحرب في العراق القديم

د. محمد على سعد الله
مدرس تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - بنها
جامعة الزقازيق

١٩٩٠

كان الفكر الدينى فى العراق القديم يمثل عنصراً هاماً فى حياة الإنسان المادية والفكرية وكان متحكماً فى كافة مجالات نشاطه الحيوى ، حيث تتمتع السلطة السياسية بأصل إلهى [١] ، فهى قبل أن تكون سلطة الملوك فهى سلطة الآلهة ، وما الملوك إلا الذين يضعون السلطة السياسية ذات الأصل الإلهى موضع الممارسة الفعلية على الأرض وذلك عن طريق القرارات التى تتخذ من قبلهم [٢] ، ومنها قرار إعلان الحرب ، فهو قرار إلهى ، إن ذلك القرار إنما يتخذ عامة صيغة الأمر الإلهى المعبر عن الإرادة الإلهية ، والذى لا بد أن يصل إلى الملك ليقوم بالإمتثال له وتنفيذه ، وكل حملة حربية كان يتم التمهيد لها بهذه العبارة :

"بناء على أمر (الإله .....) إذهب إلى الحرب.." [٣]

وعند عودة الملك من الحرب كان عليه أن يقدم للإله تقريراً مفصلاً عن حملته الحربية يشير فيها إلى جهوده للوصول إلى النصر على الأعداء بمؤازرة الآلهة ، وعليه أيضاً أن يقدم الغنائم أو جزء منها إلى هذا الإله . [٤]

" أيناشاكوشانا " – حاكم سومر ، ملك البلاد ، عندما أمرته الآلهة وأعلن الحرب على "كيش" وأسر "إبنى عشتار" ملك كيش ... لقد أعاد لهم مدينتهم (أكشاك وكيش).

---

(١) إن المجلس الإلهى هو الذى كان يملك الحق فى إختيار أى عضو من أعضائه لحفظ الأمن فى الداخل وقيادة القوات المسلحة وإعلانه ملكاً عليهم ، والإله الذى يختارونه ملكاً حينئذ يؤدى هاتين الوظيفتين بين الآلهة ، ويعمل فى الأرض عن طريق ممثله البشرى سلطانه على الحكام الآخرين في البلاد وبالتالى على دول مدنهم ، انظر :

رشيد الناضورى : المدخل في التطور التاريخى للفكر الدينى ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٣ ١، ١٢٥ – ١٢٦ .

(٢) Lambert, W.G., Baby Lonian wisdom Literature, oxford, 1960. pp. 110. ff;
Reimer, D., "The Etological Myth of the (Seven Sages)", Or, 30, 1961, P.9.

(٣) جورج كونتينو : الحياة اليومية فى بلاد بابل وآشور ، ترجمة سليم طه وبرهان عبد التكريتى ، بغداد ١٩٨٦ ، ص ٢٥١ .

(٤) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ص ٦ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ص ٣٧ وكذا ،
Civil, M., "The Sign Lak 384", Or, 52, 1981, P. 236

(ولكن) كرس فى "نفر" تماثيلهما (أى تماثيل أكشاك وكيش) ومعدنهما الثمين ، رأحجارهما الكريمة ، وممتلكاتهما المصنوعة من الخشب لـ "أنليل" ملك الأقطار". (١)

وكمثال آخر :

" أنليل " ملك الأقطار كلها ، كلف (أوتوحيجال) الرجل القوى ، ملك "الوركاء" ، ملك مناطق (العالم) الأربع ، الملك الذى ليس بوسع أحد أن يخالف أمره .. بتحطيم إسم (ملك) "جوتى" ثعبان وعقرب الجبل ، الذى حمل سلاحه ضد الآلهة .." (٢)

لقد إحتضنت الدولة إلهين رئيسيين هما : آنو (Anu) ، وانليل (Enlil) على إعتبار أنهما يمثلان السلطة فى هذه الدولة ، وقد لاحظ الإنسان العراقى القديم أنه ميز بشكل واضح ما بين السلطة وهى تمارس من قبل الإله آنو والسلطة وهى تمارس من قبل الإله انليل، فالسلطة التى يمارسها الإله الأخير ترتبط بتنفيذ أحكام المجتمع الإلهى ، أما السلطة التى يمارسها الإله آنو فهى سلطة إتخاذ القرارات أو بمثابة السلطة الأصلية ، بينما سلطة الإله " انليل " بمثل السلطة التابعة (٣)، وتصفه النصوص السومرية :

انليل صاحب السيطرة الكبيرة . . . . . كلمته رفيعة مقدسة
قراراته (أحكامه) تصل إلى المستقبل البعيد . . . . . عينه تفحص بدقة الأرض
إشراقته (تصل) إلى قلب كل الأرض
حينما يجلس الأب انليل على المنصة المقدسة
آلهة الأرض تنحنى بإحترام أمامه .." (٤)

---

(١) نص جمع من إناءين عليهما كتابات نذرية ، انظر :
صموئيل نوح كريمر : السومريون ، ترجمة فيصل الوائلى ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ٤٠ - ١٤٤ .

(٢) نص وجد على لوح يخص الملك أوتوحيجال ، الملك الوحيد لأسرة الوركاء الخامسة ، انظر : نفس المرجع السابق ، ص ٤٦٨ ، وكذا :
Woolley, C.L., The Sumerians, New York, 1965. P. 89.

(٣) ديانة السومريين هى عبادة القوى الطبيعية المتحكمة للكون في الأرض بالإضافة إلى آلهة المدن ، في هذا التصوير ، وفى هذا التصور فالإله آنو إله السماء هو أعظم الآلهة و المنطقة بين السماء والأرض يتحكم فيها "انليل" سيد الرياح والعاصفة ، ومن مقره في نيبور يتحكم في مختلف آلهة المدن السومرية الأخرى ، وهناك "إنكى" إله الأرض الذى أصبح يعرف باسم "أيا" انظر :
Moscati, S., The Face of the Ancient Orient, Vallentine, 1960, PP. 27f.

(٤) النص من ابتهالات للإله "انليل" بمعبده فى نيبور ، انظر :
Kramer, S.N., "Hymm to Enlil, the Al-Beneficent, ANET, P. 573.

كما تبين من مظاهر الإله انليل إنه له مظهر الجندى المغوار ، الذى تهز قوته السموات والأرض ، ويعاونه إبنه ننجرسو Ningirsu إله مدينة لجش وصاحب لقب "محارب آنليل" أما إبنه البكر والذى يدعى نينورتا إله الحرب والصيد ، والذى يعد خبيراً فى العراك لا يستطيع أن يتحمل وطأته أحد . كما يعتبر "سن" إله القمر إبناً له وكان أحياناًيتخذ لقب "ثور انليل القوى" والذى يأخذ الشبكة من أبيه أحياناً أخرى [١] ، ليلقى بها على عدائه ، **وفى هذا الصدد فالعلاقة بين الآلهة والحكام الذين يمثلوهم على الأرض ، لأن الآلهة** هى التى [illegible] ومنحتهم **القوة الملكية والمساعدة والمشورة.**[٢]

إن بواعث الحرب كثيرة فيها ماعرض عليها إما حاجة إلى التوسع أو بسبب تغيير الحدود ، أو النزاع بسبب الموارد المائية ، أو رغبة فى تحقيق مكاسب إقتصادية بسبب الحاجة إلى المواد الضرورية وتأمين الطرق التجارية وخاصة في المناطق التى تقطنها قبائل مشيرة للمتاعب [٣] ، كما تشير النصوص أيضاً ضمن أسباب الحروب رغبة الآلهة فى نقل القوة السياسية من مدينه لأخرى ، نتيجة لغضب الآلهة عليها لما اقترفته من آثام فى حق الآلهة [٤] ، وهو تفسير دينى من تخيلات الشعوب القديمة عن أسباب زوال الدول [٥].

---

(١) كان الفكر الدينى العراقى شبيه بالأمر الجارى بين البشر مجلساً كاملاً يترأسه انليل، وفي أوقات يتزعمه رئيس الآلهة "آن" ويحضر انكى /أيا المجلس أيضاً فيتحرك الآلهة تحت سلطة هذا الثالوث ، و نتيجة للتغير السياسى وبروز بابل في عهد حمورابى فارتفع شأن إلهها الحمى مردوخ ، وكنى بأنليل قد تخلى له عن عرشه لكى ينسحب إلى جانب "آنو" بعد ذلك قام الآشوريون بالفعل ذاته تجاه إلههم القومى آشور واستبدلوا باسم مردوخ إسمه خلال النصف الأول من الألف الأول . انظر :
جان بوتيرو " بلاد الرافدين ، ترجمة البيرابونا ، مراجعة وليد الجادر ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٢) Falkenstein, A., The King of the Sumerian City - State, Problemes in Ancient History, Donald Kagan, New York, 1966, PP. 16f.

(٣) محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، بيروت ، ١٩٨١ ص ٢٣٥ - ٢٣٩ .

Foster, B.R., "Commercial Activity in Sargonic Mesopotamia," Iraq, 39, 1977. pp 31 ff.

(٤) Kramer, S.N., " The Curse of Agade, " " The Ekui-Avenged " Anet, P. 646.

(٥) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٤٢١ .

يقوم الملك فى الحملات العسكرية بتمثيل دور نائب الإله فهو قائده وبطله المختار ، والذى يأتمر بأمر الإله ويعرف مشيئته في قرارات الحرب[١] ، وذلك لأساليب عدة منها :

أولاً : الطريق المباشر للإتصال بالإله لمعرفة قراره هو الأحلام ، حيث يتوجه الملك إلي الهيكل ليلاً ويقدم الضحية ويصلى ثم ينام وعندئذ قد يظهر الإله فى أحلامه فيوصيه بما يريد[٢].

إن الجوهر الحقيقى للأحلام ، هو كل ما يقوى على الفعل فى النفس أو الشعور أو الإرادة ، يثبت بذلك الفعل حقيقته التى لاشك فيها ، فليس هناك أي داع لإعتبار الأحلام أقل حقيقة من أحاسيس اليقظة ، بل العكس غالباً ما تفعل الأحلام فى المرء تأثيراً أكبر بكثير من فعل الحوادث اليومية العادية فتبدو أعظم شأناً من الأحاسيس المألوفة[٣].

كان العراقيون القدماء ينشدون هدى الالهة بأن يقضوا الليل فى مكان مقدس أملاً في وحى ينزل عليهم فى الحلم حيث كانت طريقة الحلم هى الأكثر شيوعاً فى التعرف على قرارات الآلهة بخصوص موضوع الحرب .

إن مثل الإعتقاد بالإيحاءات الإلهية فى الحلم هى قديمة جداً فى بلاد العراق القديم وهى واحدة من الطرق الرئيسية التى يمكن للآلهة بواسطتها إيصال أوامرها والكشف عن رغباتها إلى ممثليها علي الأرض من حكام وملوك ، وهناك أمثلة من العصور التاريخية المختلفة التى تتحدث عن إنجازات منها على وجه الخصوص المجال العسكرى ، إدعى منجزوها من الحكام بأنها كانت إستجابه لأوامر إلهية تلقوها من خلال الأحلام[٤]، والأساطير أيضاً مليئة بالأحلام وكمثال ملحمة جلجامش سواء في النص السومرى أو البابلى[٥].

---

(١) جورج كونتينو : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٢) Jacobsen, T., Mesopotamia, Before. Philosophy, (Penguin Books), London, 1954, P. 204;

(٣) Frank fort, H., La Royaute et Les Dieux Payot, Paris, 1951,P. 322. Frank frot , H., and (others), M.yth and Reality, Before Philosophy, P. 20

(٤) جان بوتيرو : المرجع السابق ، ص ١٤٦ -١٤٧ ، وكذا .

(٥) Jacobsen, T., op. cit., PP. 207 f. Sandars, N.K., The EPIC of Gilgamesh, New York, 1986, P. 20 ff Speiser, E.A., " The EPIC of Gilgamesh, ANET, " Vol, I, Fig. 69, P. 40 ff.

ثانياً : إن الآلهة قد لا تكشف عن قرارها بشكل مباشر ، عند ذلك تقوم النذر بمثل هذا الدور ، فبالنسبة للحرب فقد تجلى قرار الآلهة عبر نذر كانت قد تجلت فى مظاهر خاصة اتخذتها التضحية بخروف حيث إذا ما ظهرت أذنا الخروف مدببتين وعيناه مليئتين بالخوف وصوفه منتصباً وحرك إليته ، دع الخروف واقتل العدو ، وإذا ما الخروف عند ذبحه صرخ شاكياً وحرك أذنيه ، دع الخروف واقتل العدو ، وإذا ما بكى الخروف بعينه اليسرى وضربت أذنه اليمنى أذنه اليسرى ، دع الخروف واقتل العدو .

وأحياناً يطلب الملك الجواب على سؤال معين بتضحية حيوان للإله وقراءة رسالة الإله فى الشكل الذى يتخذه كبد الضحية وإذا لم يتضح الجواب في المرة الأولى أعاد الكرة (١).

ويرى " بوتيرو ,.Bottero, J " إن حالات العرافة تشمل الكون المادى كله : الكواكب ، الزمن والتقويم ، تضاريس الأراضى وجداول الماء والمجموعات السكانية ، هيئة العناصر غير الحية والنباتات ، وولادة وتكوين الحيوانات وتصرفها ، والإنسان هيئته الجسدية وسلوكه وأحلامه ، بمعنى أن الكون بما فيه قد أصبح مادة تستخلص منها معرفة المستقبل . وفى سبيل المثال :

"إذا كانت مرارة (الخروف المضحى) خاليه من القناة الصفراوية : سيعانى جيش الملك من العطش خلال حملة عسكرية (٢) " .

كذلك كان يمكن إدراك الغيب عن طريق الأوانى قتتم بواسطة وضع الماء مع الزيت فى إناء ومشاهدة حلقات الزيت وتحركها فوق الماء ، ويستطيع العراف عن طريقها أن يقدم رأيه عند الإستشارة (٣).

كما يبدو أن الملوك - والآشوريين على وجه الخصوص - فى العراق القديم قد أكثروا من الهبات والمغانم للآلهة واستشارتهم والإكثار من الذهاب إلى هيكل الإله آشور وهيكل

(١) Musée du Louvre De' Partement des Antiquites: Orientales Babylonian Inscriptions in the collection of James B. Niss., 1917, P. 3

للتعرف على نماذج أخرى من النذر ، انظر :

Oppenheim. L.A., "Babylonian and Assyrian Historical Texts, Sargon of Agade", ANET, PP. 267 ff.

(٢) جان بوتيرو : نفس المرجع السابق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، ص ١٧٣.

الإلهة عشتار - اربيل من أجل توثيق الأحلام والنذر ، وعندما يقومون بهذا الغرض يضعون ألواحاً عند تماثيل الآلهه يضمنونها ما يرغبون توثيقه ليجدوا بعدها جواب الآلهه مثبتاً فى الألواح (١) ، ولا شك أن الكهنه كانوا يلعبون دوراً كبيراً فى نقل إرادة الألهه سواء تلك التى تتجلى عبر النذر أو الوحى التوثيقى إلى الملوك حسب إشارة بؤولونها بموجب قوائم طويلة تدرج فيها الإشارات ومعانيها .

لقد تأثرت الحروب فى العراق القديم بالدين حيث يتمثل ذلك فى الأحداث عبر العصور التاريخية والتى يورد الباحث بعضاً منها :

شهدت الفترة التى تقع في أوائل الألف الثالث ق . م . والتى إنتهت عند حوالى ٢٤٧٠ ق . م السماة بعصر ما قبل سرجون (٢) ، عدة صراعات بين دويلات المدن السومرية التى ظهرت فى الجزء الجنوبى من بلاد العراق ، وذلك للأسباب التى سبق وأوردها الباحث . ومنها تلك الحرب التى قامت بين "لجش" و " اوما " بسبب الإختلاف على منطقة الحدود بينهما والتى إعتبرها أهل لجش داخلة ضمن نطاقهم وأراضى تابعة لإلههم "نينجرسو" وتم حسم الخلاف فى البداية بواسطة طرف ثالث هو " ميسيلم Mesilim " حاكم كيش الذي حدد حدود الحدود بينها تخليداً لذكرى تلك المعاهدة التى باركتها الآلهة بين الجانبين ، (٣)

---

(١) Van Driel, G., " Land and People of Assyria : Some Remarks" , Bi . Or, 27, 1970 , PP 168 f;
Saggs , H.W.F., The Might That was Assyria, London, 1984, PP. 245 FF.

الآلهة عشتار : تعنى "اينانا" بالسومرية ، حيث إن كثيراً من الآلهة السومريه قد تبناها (إتخذها) البابليون والآشوريون وظهرت بأسماء سامية فى الأساطير الأكدية ، وهى آلهة مركبة : للجمال وللحب وللحرب، وأحياناً إبنة إله السماء "آنو" ، أو إبنة إله القمر "سين" ، وهى المحاربة "عشتار إبنة سين وأخت "شمش" إله الشمس ، وهى سيدة المعارك مثلث واقفة على عربة يسحبها سبعة من الأسود وفى يدها قوس ، ومن أهم أماكن عبادتها الوركاء ونينوى واربيل ، انظر :

Guivand, F., Assyro - Babylonian Mygtholgy, New Larausse Ency Clopedia of Mythology , London 1958, P. 58;
Hooke, S.H., Middle Easlern Mythology, London, 1963, P. 38.

(٢) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٤ .

(٣) يرى « ثوركيلد جاكبسون » أن « ميسيلم » كان ينفذ قرار الإلـه « انليل » باعتباره ممثله البشرى انظر :
Jacobsen, T. OP. Cit., P. 210

« ننجرسو » (إله لجش) وحدود شارا (إله اوما) وأقام لوحة على الحدود ولكن أهل أوما نقضوا تلك المعاهدة ، فتصدى لهم " ايناتوم Eannatum " (ملك لجش) بعد أن ظهر له إلهه « نجرسو » فى رؤية (حلم) ، وحارب أهل اوما وذبح آلافاً منهم فى ميدان القتال ، وأقام لوحة بجانب لوحة " ميسيلم " القديمة سميت بلوحة العقبان (١) .

والنص يصف ذلك الحديث التاريخى :

<< . . . . . إنليل ملك الأقطار جميعها ، والد الآلهة كلها ، حدد حدود ننجرسو >> و « شارا » بكلمته الثابتة ، وقام « ميسيلم » ملك كيش بتحديد ابعادها وفقا لكلمة « ساتران » وإقام مسلة هناك .

ولكن « أوش » أنسى اوما انتهك حرمة (كل من) قرار الآلهة والعهد (الذى تعهد به) واقتلع مسلتها (أى مسلة الحدود) ودخل سهل لجش » .

(عندئذ) دخل . . ننجرسو » فارس انليل الأول ، معركة مع (رجال) أوما وفقا لكلمته (أى كلمة انليل) الصريحة ، وبكلمة « انليل » القى عليهم الشبكة وملأ السهل بأكوام هياكلهم فى أماكنهم (العديدة) .

(ونتيجة لذلك الصراع) حدد « إياناتم » انسى لجش ، عم « اينتمينا » انسى لجش بالإشراك مع « ايناكالى « أنسى أوما الحدود فجعل خندقها (الذى يمثل الحدود) يمتد من قناة « ادبون » الى « جوايدينا » وكتب ذلك على (عدة) مسلات ووضعها على طول ذلك الخندق ، واعاد مسلة « ميسيلم » إلى مكانها (السابق) . . . . (٢) .

وواضح من النص السابق الذي صور جانبا من أدوار الصراع ، الأرتباط الوثيق بين الدين والحروب فى تلك الفترة ، فحاكم المدينة الـ (أنسى) (٣) ، إنما هو نائب الإله أو

---

(١) Gadd, C.J. " The Cities of Babylonia " CAH, Vol. I, Part 2 A, PP. 117 f.

عن لوح العقبان ، انظر :

Frankfort. H., The Art and Archite cture of the Ancient Orient, (Penguin Baooks), 1970 Fig. 74, P.72 ff.

(٢) نص مدون على لوح العقبان التى اقامها « ايناتوم » عند الحدود القديمة بين لجش واوما وقد عثر عليه فى حفائر لجش (تلو) ، وهو من الحجر الجيرى ، ومحفوظ حالياً بمتحف اللوفر بباريس ، انظر : صموئيل نوح كرايمر : المراجع السابق ، ص ٤٤٩ - ٤٥ .

(٣) عن نظام الحكم فى المدن السومرية ، ولقب (انسى) انظر مزيد من التفاصيل :

Oates, J., Babylon, London 1986, P. 26 ff; FAlkenstein, A., cp. PP.16 f

وكيله يمارس سلطاته باعتباره ممثلاً له فى الشئون الدينية والدنيوية ، والمدن نفسها إنما هى مدن الآلهة وهى التى تحدد حدودها ، وهى التى تمنح الحاكم البشرى القوة الصريحةلتحقيق الفوز على خصومه ، ولذا يجب عليه أن يقدم لها القرابين شاكراً بعد إنتهاء المعركة التى انتهت لصالحه حسب النص ، الأمر الذى جعله يقيم مسلة جديدة وضعها بجانب المسلة القديمة ويعيد تخطيط الحدود لصالحة ، بعد إن أقام خندقا مد إليه المياه من سهل « جوادين وأقام عدة نصب على طول الحدود ، بالإضافة إلى عدة هياكل للآلهه التي وقفت بجانبه :

« . . . (عندئذ) بنى هناك الـ . . أمدوبا » العائدة لـ . . ننجرسو » والـ . . نامنوندا - كيجيرا » ، بلأضافة الى مزار لـ « انليل » ومزار « نينخر وساج » ومزار « ننجرسو » » ومزار « اوتو » . . . [1] وتشير المصادر السومرية إلى مرحلة أخرى من مراحل الصراع بين لجش وأوما ، حيث نجح حاكم أوما الطموح « لوجال زاجيزى » في هزيمة لجش ، ونقل عاصمته إلى الوركاء ، ونجح فى اخضاع سومر له خلال فترة حكمه التى امتدت قرابة خمسة وعشرون عاماً تقريبا ، ترك فيها نقشا يبين مدى قوته ، حيث منحه الإله « انليل » حكم سومر ، وجعل البلاد من البحر الاسفل (دجلة والفرات) حتى البحر الأعلى (البحر المتوسط) تدين له بالولاء والطرق ممهدة ، (البلاد) من مشرق الشمس حتى مغربها ليس فيها منافس ، والنقش يستمر فى وصف حالة السلام والمجد التى شملت كل المدن فى سومر ، وينتهى بالإبتهال وتقديم القرابين للإله "انليل" صاحب الفضل عليه [2].

وهو ما يعبر عنه النص بالكلمات الآتية :

"... عندما أعطى "انليل" ملك الأقطار جميعها ملكية البلاد لـ "لوجال زاجيزى" ، ووجه إليه أعين سكان البلاد من الشرق إلى الغرب (من شروق الشمس إلى غروبها) وأخضع (جميع الناس) له ، عندئذ توجه (جميع الناس) من البحر الأسفل ، على طول

(١) صموئيل نوح كرايمر : المرجع السابق ، ص . ٤٥ .

(٢) Gadd, C. J., Op. cit., PP. 143 f.

بشأن ماهية "البحر الأعلى" يرى عبد العزيز صالح إحتمالية كونه البحر المتوسط أو بحر قزوين ، ويرى "جان أوتس Oates. J.," إن المقصود بذلك هو البحر المتوسط وهو ما يميل إليه الباحث بإعتبار إن هذا الهدف وتأمين الطرق من الخليج العربى حتى البحر المتوسط كان من أهم الأشياء التى حرص عليها الملوك العراقيين إبتداء من عصر سرجون وما بعده ، انظر :

عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٠٧.

Oates, J., op. cit., P. 31

نهرى دجلة والفرات إلى البحر الأعلى نحوه ، ومن الشرق إلى الغرب ، لم يبق "انليل" له أى منافس ، واستلقى (سكان) جميع الأقطار فى المروج (بسلام) تحت حكمه ، لقد حكمه ابتهجت البلاد تحت حكمه ، وإنحنى جميع رؤساء سومر وحكام الأقطار الأجنبية كلها أمامه فى الوركاء ..."

"... "لوجال زاجيزى" ملك الوركاء ، ملك البلاد ، كرس من أجل حياته ، آنية متعددة (قرابين) لـ "انليل" ملكه المحبوب ..." (١).

وبرغم النجاح الذى حققه "لوجال زاجيزى" وهو ما أشار إليه النص ، ومحاولته توحيد المدن السومرية تحت قيادته ، فإن العناصر السامية بقيادة "سرجون الأكدى" نجحت فى هجومها على الوركاء وتدميرها وتحطيم أسوارها ، وإقتياد ملكها "لوجال زاجيزى" أسيراً وهو مربوط فى طوق حول عنقه إلى بوابة معبد الإله "انليل" ربما لإظهار تبجيل "سرجون" لهذا الإله ، أو ربما كأن يهدف من وراء ذلك أن يخلع عن "لوجال زاجيزى" ألقابه الدينية والدنيوية أمام الإله انليل ويتخذها لنفسها ،و المهم إن سقوط "لوجال زاجيزى" وأسرته الثالثة فى الوركاء ، يمثل فى قائمة الملوك السومرية كإنتقال عادى للحكم ، ولكنه فى الواقع نهاية للفترة السومرية المبكرة ، وبداية مرحله جديدة إتجه فيها العراق من حكومات المدن السومرية إلى حكومة الدولة الموحدة ، تحت قيادة " سرجون الأكدى" (٢).

وبرغم الدوافع السياسية وراء ذلك التحول السياسئ ، فإن المصادر السومرية ترى إن ذلك التحول كان نتيجة اللعنة التى صبها الإله "انليل" على "لوجال زاجيزى" وبيت الوركاء الذى تحول إلى تراب، (وعليه) منع "انليل" لسرجون السلطة الدينية والدنيوية من (الأراضى) السفلية حتى (الأراضى) العلوية (٣). وقد حرص الملوك الأكديون - شأنهم شأن ملوك وحكام سومر - على التقرب من الآلهة المختلفة ، وخاصة فيما يتعلق بالحروب بإعتبارهم نواب وممثلين لهذه الآلهة على الأرض ، كذلك حرصوا على تقديم القرابين والهدايا الثمينة من الغنائم التى حصلوا عليها إلى هذه الآلهة .

(١) نص نقش على إناء يخص " لوجال زاجيزى " (أسرة الوركاء الثالثة) ، انظر :
صموئيل نوح كرايمر : المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .

(٢) Gadd, C. J., op. cit., P. 144;
Oppenheim, A.L., op. cit., P. 267
Wolley, C.L., op. cit., P. 72

(٣) Kramer, S. N., op. cit., PP. 646 f.

كذلك لا يتعارض العقاب الإلهى الذى تنسبه النصوص إلى نهاية عهد كل من "سرجون"، "نرام سن" مع تقدير الأحيال التالية لهذين الملكين ، إذ أن مثل هذا العقاب هو على الأرجح لتفسير الصعاب والنكبات السياسية من وجهة النظر الدينية التى تفترض في معبود المدينة أو الدولة أن يكون حامياً لها، وأن ما تتعرض له من أزمات وأخطار إنما يرجع إلى توقف هذا المعبود عن إضفاء حمايته كعقاب غالباً على شعبها العاصى الذى أظهر جحوده بهذا المعبود(١).

وكما يرى الباحث فإن نجاح "حمورابى" (دولة بابل الأولى)، كان يعنى بالمفهوم الإلهى أن الإله "مردوك" قد إختاره المجلس الإلهى لإدارة الوظائف الخاصة بالسلطة ، وطبقاً لذلك يكون حمورابى ممثلاً للإله "مردوك" ويقوم بتأدية هذه الوظائف ، ومنها على وجه الخصوص المهام العسكرية على الأرض (٢) . وهو ما تشير إليه النصوص :

"... (حمورابى) المحبوب من مردوك بعد أن هزم عيلام ، من تخوم مرهاشى

"... وسوبارتو ، جوتيوم ، اشنونا ، ومالجى ، شيد مزارات وأعاد بناء الأسوار (الحصون) تقوية لسومر وأكد . . ." ". . . بمساعدة (تشجيع) من كبار الآلهة " انو " و " انليل " ، (اللذين) تقدما فى مقدمة قواته ، ومن خلال المساعدة التى أعطتها له الإلهة العظيمة ، كان نداً لـ "إيموتيبال" وملكها "ريم سين" {-} وأرغم سومر واكد على تنفيذ أوامره . . ."

"... بأمر من انو وانليل ، دمر (حمورابى) سور مارى ومالجى . . .(٣).

وواضح من النص حرص "حمورابى" أن يذكر بإفتخار إنجازاته العسكرية على خصومه ، ولكنه لم ينس الإشادة بفضل الآلهة عليه وتأييدهم له .

وفي العصر الآشورى ،ظل الإرتباط الوثيق بين الدين والحرب ، وهو ما تشير إليه حوليات الملوك العراقيين فى تلك الفترة ، وقد إختار الباحث بعض النصوص المعبرة عن ذلك ، وهى بمثابة وحى من الآلهة إلى الملوك ، فى هذا الوحى إنما تكشف الآلهة عن

(١) محمد عبد اللطيف : تاريخ العراق حتى نهاية الألف الثالث ق. م . ، الأسكندرية . ١٩٧٧ ، ص ٢٧٩.

(٢) Oppenheim, A.L., "List of date Formulae of the reign of Hammurabi," ANET, P. 270 .

(٣) Ibid, P. 270

رغبتها وتأييدها للملك في حروبه ، مؤكدة له إن النصر سيكون في جانبه ، وحمال ذلك الوحي الموجه للملك الآشوري "اسرحدون" من الإلهة عشتار :

"... "اسرحدون" ملك البلاد ، الذي لا يخاف ، {-} الرياح التي [illegible] أنا أتحدث عن ذلك بدون {-}

أعداؤك مثل خنزير متوحش ،

ستهرب أقدامك بعيداً ،

أنا سيده العظيمة المقدسة ، أنا الإلهة عشتار اربيل التي ستحطم اعداءك من أمام أقدامك

وماكلماتي التي سأتحدث إليك بها ستكون فوق (مفهومك) أنا عشتار اربيل ، سوف أكذب على أعدائك (أضللهم) أنا سأعطيهم لك ، أنا عشتار اربيل سوف أذهب أمامك وخلفك ، لا تخف . . . " (١).

وهناك مثل آخر من العصر الآشوري . حيث يتضمن نص يخص الملك "آشور بانيبال" الذي كان قد ذهب إلى معبد الإلهة عشتار في اربيل ليتعبد إليها ويسألها العون على خصمه " تاومان Teumman " ملك عيلام ، ومن الطريف أن أقوال الإلهة قد صيغت على إنها حلم رآه كاهن معبدها في آربيل ، فقصه في اليوم التالي على الملك :

"... لما سمعت الإلهة عشتار تنهداتي ،قالت لي : لا تخف ، فملأت (بذلك) قلبي ثقة ، ثم قالت : " إني رحيمة ، بقدر ما ارتفعت يدك للصلاة ، وملأت عيناك بالدموع ، نام العراف (الكاهن) ورأى حلماً ، وعندما استيقظ أدرك إن الإلهة عشتار قد أرسلت إليه رؤية في الليل ، فقص على ما رأى ، وقال: "جاءت عشتار التي تسكن اربيل ، وكانت تحمل القوس بيدها وتشهر السيف للمعركة ، وكنت واقفاً أمامها فكلمتك وكأنها أمك التي ولدتك ، لقد نادتك عشتار المعظمة بين الآلهة وأعطتك الوصايا التالية :

" سوف تكمل إنجاز أوامري ، وإني سأتقدم حيثما وليت وجهك إنك قلت لي يا سيدة السماء ، دعيني أذهب معك حيثما تذهبين ، ثم أضافت عشتار : ستبقى أنت هنا ، حيث مسكن الإله "نابو" (إبن الإله مردوخ) ، تناول الطعام ، واشرب النبيذ ، واستمتع بالموسيقى ، وأمدح ألوهيتي ، في حين أذهب أنا وانجز تلك المهمة ، لتنال ما يصبو إليه قلبك ،

---

(١) Pfeiffer, R.H., "Akkadian Oracles and Prophecies", ANET, P. 449.

وليس هناك ما يبرر شحوب وجهك ، ولا تعب قدميك ، ولا نقص قوتك فى ميدان المعركة . . . " (١).

وواضح من النص إن الملك "آشوربانيبال" مدعم بتأييد الآلهة له فى حروبه وبالتالى فإن النصر سيكون حليفه .

وهكذا تجد أن الإرتباط كان وثيقاً بين الدين والحروب طوال تاريخ العراق القديم ، وإن هذا الإرتباط سعى إليه الملوك أنفسهم لتأكيد الصفة المقدسة لحكمهم ولكافة تصرفاتهم وأفعالهم .

---

(١) Pfeiffer, R.H., "An Oraculor Dream Concerning Ashurbanipal" ANET, P. 451;
Fish, T., "Letters from the War front in Ancient Mesopotamia", Bull. Ryl. Libr., Vol. 26 (No 2), 1942, P. 6 .

عن مزيد من الوحي والنبوءات انظر :

Biggs, R., "Akkadian Oraches and Prophecies", ANET, PP. 604 ff.

Abbreviations

ANET	= Pritchard. J. B. (ed.), Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, 1969.
ANET (vol. i)	= Pritchard. J. B. (ed.), The Ancient Near Est, vol. I, An Anthology of Texts and Pictures. 1973.
Bi Or	= Bibliotheca Orientalis (Leiden, 1943 -).
Bull. Ryl. Libr.	= Bulletin of the John Rylands Library (Manchester).
CAH	= The Cambridge Ancient History. Cambridge, 1970 - 75.
Iraq	= Iraq, British School of Archaeology in Iraq, London.
Or	= Orientalia, Nava Series, Rom.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : باللغة العربية :

رشـــيد الناضـــوري : المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ، بيروت، ١٩٦٩ .

عبد الحميـــد زايـــد : الشرق الخالد ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

عبد العزيـــز صـــالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

محمد أبو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، بيروت ، ١٩٨١ .

محمـــد عبد اللطيـــف : تاريخ العراق حتى نهاية الألف الثالث ق.م ، الأسكندرية ، ١٩٧٧ .

نجيـــب ميخـــائيـــل : مصر والشرق الأدنى القديم ، حـ ٦ ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

ثانياً : الكتب المترجمة إلى اللغة العربية :

جـــان بوتـــيرو : بلاد الرافدين ، ترجمة البيرابونا ، مراجعة وليد الجادر ، بغداد ، ١٩٩٠ .

جـــورج كـــونتينـــو : الحياة اليومية في بلاد بابل - ترجمة سليم طه وبرهان عبد التكريتي ، بغداد ، ١٩٨٦.

صمـــوئيل نـــوح كـــريمـــر : السومريون ، ترجمة فيصل الوائلي ، الكويت ، ١٩٧٣ .

ثالثاً : باللغات الأجنبية :

Biggs, R., "Akkadian Oracles and Prophecis", ANET.

Civil, M., "The Sign LAK 384" , Or, 52, 1981 .

Van Driel, G., "Land and People of Assyria: Some Remarks", Bi. Or, 27, 1970.

Falkenstein, A., "The King of the Sumerian City- State, Problemes in Ancient History, Donald Kagan, New York, 1966 .

Faster. B. R., "Commercial Activity in Sargonic Mesopotamia", Iraq, 39, 1977.

Fish, t., " Letters From the war front in Ancient Mesopotamia, Bull. Ryl, Libr,. 26 (No 2), 1942.

Frankfort, H., La Royaute et let Dieux Payot, Paris, 1951.

---------- , The Art and Architecture of The Ancient Orient, (Penguin Books), 1970 .

---------- and (others), Myth and Reality, Before Philosophy, (Penguin Books), London, 1954 .

Gadd, C. J., "The Cities of Babylonia" CAH, vol. I, Part 2 A .

Hooke, S.H., middle Eastern Mythology, London, 1963 .

Jacobsen, T., Mesopotamia, Before Philosophy .

Kramer, S. N., "The Curse of Agade, The Ekur Avenged", ANET .

----------, "Hymn to Enlil, the All-Beneficent", ANET .

Lambert, W. G., Babylonian Wisdom Literature, Oxford, 1960 .

Mascati, S., The Face of the Ancient Orient, Vallentine, 1960 .

Musee du Loovre De partement des Antiquites. Orientales Babylonian Inscriptions in the Collection of James B. Niss., 1917 .

Oates, J., Babylon, London, 1986 .

Oppenheim, L. A., "Babulonian and Assyrian Historical Texts, Sargon of Agade", ANET .
---------- , List of date Formulae of the reign of Hammurabi", ANET .
Pfeiffer, R. H., "Akkadian Oracles and Prophecies", ANET .
----------, "An Oraculor Dream Concerning Ashurbanipal", ANET .
Reiner, E., "The Etological Myth of the "Seven Sages"," Or, 30, 1961 .
Saggs, H.W..F., The Might That was ASSyria, London, 1984 .
Sandars, N.K., The Epic of Gilgamesh, New York, 1986 .
Speiser, E.A., "The Epic of Gilgamesh", ANET , vol. I .
Woolley, C.L., The Sumerians, New York, 1965 .